التحليل المنطقي للّغة في فلسفة "رودولف كارناب"

بوزيان صليحة
طالبة دكتوراه فلسفة
جامعة جامعة وهران 2 ، محمد بن احمد

ملخص:

ضمن التوجّه الوضعي المنطقي الذي أسّست له حلقة "فيينا" ، أقام" رودلف كارناب" مشروعه الفلسفي، وهو المشروع الذي التفت إلى فكرة التحليل المنطقي للغّة ، وذلك لأجل التأسيس لفلسفة علمية تسمح بتقديم حل لكل المشكلات الفلسفية القديمة ، بما فيها مشكلة الميتافيزيقا ، التي عدّ كارناب عباراتها قضايا فارغة من المعنى. فعلى أساس هذا التمييز بين ما له معنى، وما ليس له معنى استطاع كارناب أن يستبعد الميتافيزيقا جذريا بالطرق المنطقية والعلمية، وهكذا وجّه البحث الفلسفي نحو غاية مشتركة، هي تحقيق وحدة العلم ، وهي الغاية الأساسية التي سعت الوضعية المنطقية إلى تحقيقها باختلاف توجهاتها.

الكلمات المفتاحية : فلسفة كرناب، اللغة ، التحليل المنطقي، السيمانطيقا

مقدمة :

يمثّل "كارناب" [1] أحد أبرز أعضاء جماعة فيينا المنطقية، وهو اتجاه في الفلسفة العلمية انبثق عن الوضعية، غايته تحقيق الدقّة والبناء المنطقي للمعرفة العلمية، وذلك بهدف تنظيم المعرفة داخل نسق "وحدة العلم"، فإزالة الفروق بين مختلف فروع العلوم المختلفة يشترط قيام فلسفة علمية أصيلة لا يمكن تحقيقها إلاّ بواسطة التحليل المنطقي للعلم.

1 – لمحة عن مشروع "كرناب" الفلسفي:

ارتبط المشروع الفلسفي لـ "كارناب" بالخطاب النقدي الذي وجّهته "حلقة فيينا"[2] لمضامين الفلسفة الكلاسيكية، وهو الخطاب الذي التفت إلى إيجاد حلول لتلك المعضلات التي تعلّقت بمشكلات اللغّة وقضايا التحقق وأنواع القضايا مقابل رفض الميتافيزيقا. فتحرير الفلسفة والعلوم من قضايا

الميتافيزيقا ضرورة لبناء قاعدة علمية لجميع أنماط المعرفة، ومثلت هذه القضايا الرئيسة الحجر الأساس للبناء التركيبي المنطقي للغّة العلمية.

إنّ معالجة هذه المشكلات ضمن الخطاب العلمي المعاصر، وما يطرحه من رهانات وما يواجهه من عوائق ابستمولوجية، مثّل بداية حقبة معرفية في تأريخ الفلسفة المعاصرة بأطروحاتها المختلفة، وقد كان "كارناب" ينتمي إلى تلك المدرسة، ومن أهّم ممّن أسهموا في إرساء دعائمها. فانضمام "كارناب" لجماعة "فيينا" عام 1926 كان له أكبر الأثر في تطور نشاط هذه الجماعة، حيث حاول جعل الذرية المنطقية (بتراند راسل) في توافق وانسجام مع الوضعية المنطقية [3]

وتنقسم حياة "كارناب" إلى ثلاث مراحل بحسب اهتماماته والقضايا التي شغلته[4]:

_ **المرحلة الأولى:** تتميّز بإقامة التركيب المنطقي للعالم وللغّة، ومحاولة استبعاد الميتافيزيقا بطرق منطقية؛

_ **المرحلة الثانية:** تبدأ ببداية الأربعينيات، وتميّزت باهتمامه بالسيمانطيقا (علم المعاني)؛

_ **المرحلة الثالثة:** كانت مع بداية الخمسينات، وتميّزت باهتمامه بالمشكلات الفلسفية للعلم ومناقشته لمشكلات تتعلق بالأسس الفلسفية للفيزياء ومشكلة الاستقراء والاحتمال وكيفية تكوّن النظريات العلمية، وكان كتابه : "الأسس الفلسفية للفيزياء ضمن هذا المضمار .

وتبعًا لهذه الكرونولوجية، يمكن الوقوف على أهمّ المفاهيم المركزية التي تمحورت حولها فلسفة "كارناب" وهي:

1ـ التحليل المنطقي (البناء المنطقي للغّة)؛

2ـ ـ مبدأ قابلية التحقق؛

3ـ توحيد العلم؛

4ـ استبعاد الميتافيزيقا؛

5ـ السيمانطيقا أو علم المعاني.

2 ـ التحليل المنطقي (البناء المنطقي للغّة):

اضطلع "كارناب" بتكوين تصور جديد للفلسفة ينسجم مع معتقدات الوضعية المنطقية، فمهمة الفلسفة لا تنحصر فقط في تحليل الأفكار وتوضيح المبادئ الخاصة بالعلوم ، فطالما أنّ للفلسفة معنى معرفي، وإن لم يكن لها معنى تجريبي، فإنّ لها أن لا تتوقف على التوضيح والتحليل، وإنّما أن تنتج معرفة جديدة لا تخرج عن لغة العلم . فقد انتهى "لودفيج فتجنشتاين" في كتابه "رسالة منطقية فلسفية" إلى أنّ مهمة الفلسفة هي توضيح الأفكار ومبادئ العلوم من دون أن يكون لها الحق في بناء المبادىء العلمية ، ومن ثمّ فقد حصر "فتجنشتاين" مهمة الفلسفة في دائرة ضيّقة جدا، فوظيفة التحليل المنطقي هي تحليل كل المعرفة دون الاهتمام بالبحث عن الحقيقة في ذاتها أو إعطاء اعتبارات سيكولوجية لأصول أفكارنا وقوانين ترابطها.[5]

حاول " كارناب" في كتابه "البناء المنطقي للعالم" أن يبرهن على إمكان إعادة بناء مفاهيم كل حقول المعرفة بناءً عقليًا على أساس إحالتها إلى المعطى المباشر. والمقصود بإعادة البناء المنطقي، البحث عن تعريفات جديدة لمفاهيم قديمة كانت قد نشأت بفعل تطور تلقائي وغير مفكّر فيه، ممّا جعلها تفتقر إلى الوضوح والدقّة، أما التعريفات الجديدة، فيجب أن تتمتع بهاتين الخاصيتين (بناء جديد لمفاهيم العلم)، فالمعرفة عند "كارناب" يجب أن تتحوّل إلى أنساق منطقية سواء كانت معرفة صورية أو أوعلمية تجريبية، ومن خلال هذه الأنساق يتّم تحديد خواص ومقوّمات معارفنا، وأي معرفة لا يمكن إقامة نسق منطقي لها، فهي معرفة خالية من المعنى، ولابدّ من استبعادها من دائرة العلم والفلسفة. أعلن "كارناب" عن بداية عصر جديد، تغيّرت فيه وظيفة الفلسفة إذ انتقلت من بناء الأنساق الميتافيزيقية والتأملية إلى بناء الأنساق المنطقية التي تعنى بتحليل قضايا العلم والفلسفة معا ، واستندّ "كارناب" في ذلك إلى استخدام المنطق الرمزي كأداة مثلى للاستعمال في مجال الفلسفة. إنّ الدقة شرط أساسي في إقامة الأنساق وفي اشتقاق القضايا، وهو ما توفّره اللغة الرمزية. وكان هذا نتيجة لتأثره بمحاضرات ودروس "غوتلوب فريجه" (1848_1925) في وضعه لنظامه المنطقي الرمزي في الرياضيات.[6]

3 ـ مبدأ إمكان التحقق:

لقد جعل الوضعيون المناطقة معيار التحقق جزءا لا يتجزأ من نظرية المعنى لديهم، ونظرية المعنى تفصل بين ما له معنى من العبارات وبين ما لا معنى له. وعادة ما يرّد هذا المبدأ بمعناه المعاصر إلى الفيلسوف النمساوي "**لودفيج فتجنشتاين**"، ومفاده أنّ معنى القضية مطابق لطريقة تحقيقها، أي أنّ

القضية تعني مجموعة من الخبرات أو التجارب التي تكون مجموعها معادلة أو مكافئة لكون القضية قضية صادقة[7] .

ويقسّم "كارناب" الخالي من المعنى النظري إلى ثلاث فئات:

1 ـ الكلام غير المفهوم كلّية (كلام الطفل مثلا)؛

2 ـ أساليب الكلام التي تخلّ بقواعد بناء الجملة الصحيحة، مثل العبارة التي أوردها الفيلسوف الوجودي " مارتن هايدغر" في قوله: ما هي الميتافيزيقا ؟ فيقول: "إنّ العدم يعدم نفسه". فهذه العبارة حسب "كارناب" تخطيء من ناحيتين: الأولى، هي أنّها تستخدم فعل مثل "يعدم" وهو فارغ من المعنى، والثانية أنّها تتعامل مع كلمة "عدم" بوصفها اسما وهي فارغة من المعنى أيضا.

3 ـ التعبيرات الانفعالية، ويدخل تحت المعنى "الانفعالي" كل الجمل الميتافيزيقية، بالإضافة إلى الشعر والأخلاق المعيارية والدراسات الدينية.

أما العبارات التي تتصّف بالمعنى النظري، فتنقسّم إلى قضايا تخضع إلى معيار التحقق من جهة، وتحصيلات الحاصل، ولا يسمح بالصدق الضروري في النسق الوضعي إلاّ لتحصيلات الحاصل، وعلى هذا الأساس ميّز "كارناب" بين ثلاث فئات من العبارات:

ـ عبارات شيئية (Object sentences)، عبارات شبه شيئية (Pseudo object sentences) ، وعبارات بنائية (Syntactical sentences) .

إنّ عبارات الرياضة والعلوم هي عبارات شيئية (5 عدد أولي، النمور مفترسة)، أما العبارات البنائية ، فهي تلك التي تتكلّم عن ألفاظ ، وعن القواعد التي تحكم استخدام تلك الألفاظ.

أخذ "كارناب" بمبدأ إمكانية التحقق" للتمييز بين ما له معنى من العبارات، وبين ما ليس له معنى. ولكن لو نظرنا إلى المبدأ نفسه، هل يكون هو نفسه عبارة صادقة أو حتى عبارة ذات معنى؟

مما لا شك فيه أنّ هذا المبدأ ليس قضية علمية لأنّ القول بأنّ معنى القضية هو طريقة تحقيقها ليس قضية علمية، ومن ثمّ لا يمكن تحقيقها، وبالتالي يكون المبدأ نفسه خاليا من المعنى، ولا يمكن استخدامه معيارا للصدق أو للتفرقة بين ما له معنى من العبارات وما لا معنى له.

4 ـ توحيد العلم:

اتجّه التحليل المنطقي للغّة عند "كارناب" نحو تحقيق غاية مشتركة بين كل الوضعيين، وهو مشروع العلم الموحّد الذي كان يهدف إلى توحيد الألفاظ العلمية، فاستحداث لغة علمية واضحة وضوحًا كاملاً أمر ممكن، لذا، فمن الممكن تحقيق وحدة لكل العلوم، وهذا ما تحقق بالفعل في الرياضيات والعلم الطبيعي، لقد اهتمّ "كارناب" بفكرة توحيد العلم حين شدّد على التحليل المنطقي للغّة كمنهج، يهدف من خلاله إلى إقامة نسق واحد لجميع الأفكار العلمية، فلا وجود لعلوم مختلفة ذات مناهج متباينة، ولا وجود لمصادر مختلفة للمعرفة، بل هناك علم واحد فقط، وما المظهر الخارجي للخلافات الأساسية بين العلوم إلاّ نتيجة مضللّة لاستخدامنا لغات فرعية للتعبير عن هذه العلوم، ولقد وضّح "كارناب" ذلك في صورة بحث مؤداه أنّ جملة لغة العلم يمكن إقامتها على أساس فيزيائي. ويذكر عبد الرحمن بدوي عن وحدة العلم ما يلي: "اهتمّت دائرة فيينا بفكرة وحدة العلم ، وفي سبيل ذلك طالبت بلغة موحدة، بها يمكن التعبير عن كل قضية علمية. ولغة كهذه لابدّ أن تحقق شرطين: أن ينبغي أولا أن تكون لغة بين الأفراد، أي لغّة ميسورة لكل إنسان وعلاماتها تدلّ على نفس المعنى بالنسبة للجميع، وينبغي ثانيا أن تكون لغة عالمية يمكن بها التعبير عن أي موضوع." [8]

5 ـ استبعاد الميتافيزيقا:

يتصوّر "كارناب" أنّ العلم يشتمل على الكل من حيث المبدأ، فهو بصفته معرفة مفهومية ليس لها حدود، ولا محدودية المعرفة العلمية دليل على كلية العلم، وهذا ما يجعلنا في غنى عن الميتافيزيقا، ويميّز "كارناب" بين استبعاد الميتافيزيقا الذي قامت عليه الوضعية المنطقية وبين المحاولات السابقة الفاشلة في رأيه ،والتي يمتد تأريخها من الشكاك اليونان إلى تجريبي القرن التاسع العشر، فهؤلاء حاربوا الميتافيزيقا باعتبارها عقيدة كاذبة أو غير يقينية، أما الوضعية المنطقية فقد استفادت من تطور المنطق الحديث الذي سمح بتقديم حل أكثر دقة فيما يتعلق بالسؤال عن قيمة الميتافيزيقا، فعن طريق التحليل المنطقي للغّة وللعالم تمّ الاستبعاد الجذري للميتافيزيقا، وصنّفت كل الأحكام الميتافيزيقية على أنّها أحكام مزيّفة، أو عبارات خالية من المعنى بالاصطلاح التحليلي المعاصر. إنّ المشاكل الكبرى التي شغلت الميتافيزيقا نفسها منذ القدم، فهي في رأي "كارناب" ليست مشكلات علمية على الإطلاق ، لأنّ المشكلة تقوم حين تصاغ قضية ،وينظر هل هي صحيحة أم باطلة، أما إذا كانت القضية بغير معنى، فإنّ المشكلة التي تعبّر عنها هي مشكلة وهمية زائفة [9]. كان هذا القول دحض مباشر لما انتهت إليه الهيجلية الجديدة على يد "يرادلي" في انجلترا ، وهو الاكتساح الذي عرفته الفلسفة المثالية الهيجلية على المشهد الثقافي الغربي

في النصف الثاني من القرن 20م، حيث رأى هذا المؤيد للهيجلية أنّ الفلسفة أو الميتافيزيقا لا يمكنها أن تبرهن على نتائجها إلاّ بافتراض هذه النتائج أولا، أي بوضعها كفروض، فكما يفترض العلماء أنّ هناك قوانين تحكم الطبيعة، ثمّ يقومون بالبحث عنها، كذلك تفترض الميتافيزيقا نتائجها ثم تحاول البرهان عليها.

كان الهدف الرئيسي للميثاق العلمي لجماعة فيينا تخليص الفلسفة والعلوم من الميتافيزيقا، وتكوين قاعدة علمية لجميع العلوم تصلح لأن تكون أساسا لوحدة العلم. ولتحقيق هذه الغاية لجأ "كارناب" لاستخدام طريقة التحليل المنطقي للغّة. ولم يكتف برفض الميتافيزيقا، بل عمد إلى البرهان على ذلك بوسائل منطقية وتجريبية.

وقد كتب د. عبد الرحمن بدوي عن (رفض الميتافيزيقا)، وعن "كارناب" قائلا: "يعدّ كارناب ممن أسهموا في الوضعية المنطقية، وهي نزعة يصعب جدا إدراجها بين النزعات أو المذاهب الفلسفية بالمعنى الصحيح لأنّها تقوم أساسا على رفض الميتافيزيقا، مع أنّ الميتافيزيقا هي جوهر الفلسفة بالمعنى الصحيح".

6 ـ السيمانطيقا (علم المعاني):

أخذ "كارناب" عن " فريجه" الاعتقاد بأنّ المعرفة الرياضية تحليلية [10]، وأنّ أساسها طبيعة المعرفة المنطقية ذاتها،وبهذا فإنّ مهمة المنطق والرياضيات ضمن جملة نسق المعرفة هي التي تزوّدنا بصورة المفاهيم والأحكام والاستدلالات، وفي التشديد على أهمية التحليل، جاء اهتمام "كارناب" بالنحو المنطقي من جهة وبعلم الدلالة من جهة أخرى، ومثّل هذا الانشغال المجال الرئيسي لمبحث السيمانطيقا لديه، وفي تشخيص "كارناب" أنّ المشكلة الفلسفية في حقيقتها هي مشكلات تتعلق ببناء اللغّة، أقنعته أبحاث "ألفرد تارسكي" في مجال علم السيمانطيقا أو علم المعاني بضرورة توسيع وجهة نظره، لذا كان من الضروري في التحليل المنطقي للغّة تجاوز دراسة البناء، أي دراسة صور التعبيرات بغض النظر عن معناها ، ليشمل دراسة المعاني، وهي نظرية المفاهيم أو التصورات الخاصة بالمعنى أو الصدق. ومثّل هذا المجال الإهتمام الرئيسي لـ "كارناب"، فنشر حين استقرّ في أمريكا بحثا في ((الموسوعة الدولية للعلم الموّحد) بعنوان "أسس المنطق والرياضيات" عام 1939، ثم سلسلة من الدراسات سميت (دراسات في علم المعاني).

ضمن هذا الإطار، يرى "كارناب" على أنّ عمل الفلسفة أصبح هو التحليل المتعلّق بالمعنى، أو ما اصطلح عليه بالتحليل السيمانطيقي، وعلى غرار الطريقة التي أقامها "كارناب" في إقامة البناء المنطقي

للغّة، أي الاهتمام بفكرة "السنتاكس المنطقي للغّة" كنظرية تحليلية لتراكيب العبارات اللغوية والتي كان يهدف من ورائها إلى بناء النظرية العامة للأشكال اللغوية، أخذ " كارناب" على عاتقه أن يقسّم آلية علم المعاني بطريقة مماثلة للطريقة التي أقام عليها البناء، وعلى هذا الأساس قدّم "كارناب" تفسيرات ناجحة بواسطة التكافؤ المنطقي للتصورين القديمين الخاصين بالمفهوم والماصدق، وقد استخدم "كارناب" هذين المفهومين كأساس لمنهج جديد في التحليل السيمانطيقي الذي قدّمه بدلا من المنهج المألوف استخدامه ، والخاص بعلاقة الإسم الذي كان سائدا في مناقشات المعنى عند "فريجه".

خلاصة :

وممّا يمكن استخلاصه انطلاقا من هذا البحث، الذي اهتّم بالتحليل المنطقي للغّة في فلسفة "رودولف كارناب"، أنّ اهتمام فلاسفة الوضعية بمشروع العلم الموحّد الذي أسّست له الفلسفة العلمية لأجل تحقيق مطلبي الدقة والموضوعية،لم تكن الغاية الأبعد منه سوى تجاوز الميتافيزيقا واستبعادها استبعادا جذريا بالطرق المنطقية[15]، وهذا ما جعل "كارناب" يشدّد على ضرورة استخدام المنطق الرمزي كلغة أساسية للتعبير عن محتوى نسق العلم، فمهمة التحليل المنطقي هو الوظيفة التي وجدت لأجلها الفلسفة العلمية ، والتي من المفترض أن تكون بديلا كافيا لمشكلات الفلسفة الكلاسيكية وما تضمنته من قضايا ميتافيزيقية فارغة من المعنى، وبهذا تجاوز "كارناب" المبدأ الذي حدّدته الوضعية المنطقية، حين حصرت مهمة الفلسفة في تحليل مفاهيم العلم إلى توجيه العمل الفلسفي نحو بناء أنساق منطقية تسمح باستبعاد الميتافيزيقا بالفعل من دائرة القول الفلسفي العلمي[16]. وضمن هذا الإطار أسّس "كارناب" لفكرة الفهم العلمي للعالم، وهي الرؤية التي لا تقتنع إلاّ بالقول العلمي الذي تمّ اختزاله في منهج التحقق الوضعي الذي استند إلى منهج التحليل المنطقي الذي يستثمر آليات المنطق الرمزي وفلسفة التحليل للوصول إلى الهدف الأكبر المتمثل في صنع فلسفة علمية خالية من الشوائب الميتافيزيقية، وهو الأفق الذي تطلّع إليه "رودولف كارناب" من خلال التحليل المنطقي للغّة.

الإحالات و الهوامش:

1- رودولف كارناب Rudolf Carnap (1891ـ 1970)، فيلسوف ومنطقي نمساوي، يعدّ أحد أبرز زعماء الفلسفة التجريبية المنطقية Logical empiricism أو الوضعية المنطقية Logical positivism، ولد في رونسدورف Ronsdorf بالقرب من بارمن في ألمانيا، وتوفي في كاليفورنيا. درس في جامعتي " فرايبورغ وبينا (1910ـ1914)، حيث تخصّص في الفيزياء والرياضيات والفلسفة، وتأثركثيرا في " بينا" بأستاذه الرياضي المنطقي " غوتلوب فريجه"، وحصل في عام 1929 على الدكتزراه من الجامعة نفسها برسالة عنوانها " المكان" إسهام في نظرية العلم.من أهم مؤلفاته: " البناء المنطقي للعالم"، " التركيب المنطقي للغّة" ، "الأسس الفلسفية للفيزياء" و" مقدّمة في علم المعاني (السيمانطيقا).

2- في سنة 1929 ،أطلقت جماعة فيينا على نفسها " حلقة فيينا"،وأصدرت منشورا " مانيفستو" بعنوان " وجهة نظر علمية إلى العالم"، تحدّد فيه موقفها من المشكلات الفلسفية والمنطقية والفيزيائية والإجتماعية.
3- رودولف كارناب: الأسس الفلسفية للفيزياء. ترجمة: د.السيّد نفادي. دار الثقافة الجديدة. القاهرة. 2003.ص: 06.
4- د. رشيد الحاج صالح ـ النظرية المنطقية عند كارناب . دار الهيئة العامة السورية للكتاب.دمشق. 2009. ص: 20.
5-رودولف كارناب ـ الأسس الفلسفية للفيزياء ـ ص: 09.
6- الحاج حسن وداد: رودولف كارناب والوضعية المنطقية . المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط1. 2001. ص: 31.
7- لودفيغ فتجنشتاين : رسالة منطقية فلسفية. ترجمة : عزمي إسلام . المكتبة الأنجلو مصرية. 1968. العبارة رقم :4.031. ص: 83.
8- فؤاد كامل. الموسوعة الفلسفية المختصرة. دار القلم. بيروت. لبنان.د. تـ. ص 44 .
9 - عبد الرحمن بدوي . موسوعة الفلسفة. ج2. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط1. 1984. ص 56 .
10- وايت سورتون ـ عصر التحليل. ترجمة : أديب يوسف شيش. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق. 1975.ص 61 .
11- رشيد الحاج صالح: النظرية المنطقية عند كارناب. دار الهيئة العامة السورية للكتاب. دمشق. 2009. ص 83 .
12- رودولف كارناب: الأسس الفلسفية للفيزياء. ترجمة : د. السيّد نفادي. دار الثقافة الجديدة . القاهرة . 2003. ص 102 .
13-حسين علي : الميتافيزيقا والعلم .دار قباء للطباعة والنشر. ص:66.
14- كارل بوبر: منطق البحث العلمي .ترجمة: محمد البغدادي . المنظمة العربية للترجمة. ص: 63.
15- محمد قاسم : في الفكر الفلسفي المعاصر ـ رؤية علمية ـ دار النهضة العربية. ص: 274.
16- كارل بوبر: منطق الكشف العلمي.ترجمة : ماهر عبد القادر محمد علي. دار النهضة العربية . ص: 147.